ولاية علي رضا باشا (1831-1842)

المدرس المساعد : بتول انور علي
batoolanwar1994@uomustansiriyah.edu.iq

تمكن باشا حلب علي رضا اللاز في عام 1831 من دخول بغداد على رأس جيش اعد لارجاعها لسيطرة الدولة العثمانية المباشرة وانهاء حكم المماليك شبه المستقل فيها وقد ساعد الطاعون الذي استشرى في مدينة بغداد وفيضان دجلة الذي اغرقها اثناء حصارها من قبل اللازوقو اته على استسلام واليها داوود باشا (1817-1831) ليكون اخرولاة المماليك فيها وبانتهاء حكم المماليك سيطرت الدولة سيطرة مباشرة على بغداد ، وتقلد علي رضا امر الايالة وتو ابعها تنفيذاً للاتفاق الذي ابرم بينه وبين السلطان واستمر في حكمها لاكثر من احدى عشرة سنة ، ثم تتابع بعده عشرة باشوات على حكم الايالة قبل ان يتولى امورها مدحت باشا في عام 1869.

اشر حكم علي رضا باشا (1831-1842) لبغداد بداية لمرحلة جديدة من تاريخ العراق الحديث وهي مرحلة تميزت بتوطد علاقات هذه المنطقة مع بقية ارجاء الدولة العثمانية، على اساس الادارة المركزية، وبسعي ولاتها الى ادخال منجزات الحضارة الاوربية لها . لقد كانت باشوية بغداد التي وصلت الى حاكم العراق الجديد علي رضا باشا بعد ان تعرضت للعديد من الكوارث الطبيعية قد تحولت الى منطقة شبه جرداء خالية من السكان، حتى تناقص عدد سكانها الى خمسين الف نسمة فقط ، من جانب اخر استفاد الوالي الجديد من الصلاحيات الواسعة التي تمتع بها بأمر من السلطان ، فظلت تتركز بيده جميع السلطات المركزية والادارية والقضائية والمالية.

لقد بقي علي رضا باشا والياً علي بغداد بعد انهاي حكم المماليك طيلة عهد السلطان محمود الثاني ، واستمر في حكمها حتى عام 1842 ممايعني ان الايالة قد اعطيت له كمنحة على قيامه بأرجاعها لحكم الدولة المباشر، دون ان تأخد الدولة بعين الاعتبار مدى كفاءة هذا الوزيلر الذي يوصف بأنه"كان حاكماً فاشاً" ،فلم يستطع اللاز احكام السيطرة على القبائل التي كانت تشكل الغالبية العظمى لسكان ايالة بغداد، وكانت خطته الوحيدة هي حكم القبائل ان يحرض قبيلة على اخرى كذلك فلم يتمكن من ضبط المدن والسيطرة حتى على قو اته الخاصة غير النظامية ، كما اتصف اللاز بالتبذير والافراط في صرف الاموال الحكومية في غير اوجهها الصحيحة مما تسبب في خو انه خز انة الايالة، فاضطر الى اتباع اسلوب التغريم والمصادرة الذي كان متبعاً فيما مضى، والبقاء على نظام الالتزام في جباية واردات الحكومة ،ذلك النظام الذي يفترض ان الدولة قد قضت عليه حينما شاءت اصلاحات محمود الثاني القضاء على كل واسطة بين الدولة ومواطنيها ولم يكن (الملتزمون) الا واسطة بين دافعي الضر ائب وخزينة الدولة وخلاصة القول ان ادارة علي رضا باشا اللاز وصفت بانها اضر على العراق من ادارة المماليك.

لقد شهد العراق حلال مدة ولاية علي رضا باشا اضطر ابات كانت نتيجة لقيام الدولة محمد علي باشا في مصر في مطلع القرن التاسع عشر ، وما صاحب قيام الدولة التي انشاها محمد علي والي مصر القوي في اقطار مصر والشام والسودان والحجاز من تأثيرات قوية على مجمل الاوضاع العامة في الولايات العر اقية، فلقد ادى تفويض جيوش محمد علي لاركان السيطرة العثمانية في الشام عام 1932م وضمها مدن دمشق وحمص وحماة وحلب، الى عدد من التغيرات السياسية والاجتماعية داخل كيانات الولايات العر اقية ، من ذلك انه نشبت الثورات في عدد من المدن العر اقية الكبيرة ضد السلطات العثمانية فيها، وجرت اتصالات عديدة بين الثوار والقيادة المصرية في الشام تحرضها على التقدم لضم العراق بأكمله الى الدولة الجديدة ففي منتصف عام 1832 تعهد شيوخ قبائل شمر والعقبل وزبيد، الى تلك القيادة بالعمل على تطهير العراق من الوجود العثماني واظهر متسلماً عانة وهيت على الفرات انضمامهما الى جانب مصر فزاد ذلك من حراجة الموقف العثماني في بغداد ، وكان الوضع السياسي في هذه المدينة قد بلغ غاية تأزمه حتى ان فنصل بريطانيا ذكر في تقرير له ان هذه الولاية

كانت اشد حالات البؤس والضيق تحت حكم علي باشا ، و انظار الشعب متجهة في المحبة نحو ابراهيم بن محمد علي قائد الجيوش المصرية ، وقد شبت الثورة فعلاً في الجانب الشرقي من بغداد في ايار1932م بزعامة مفتي المدينة عبد الغني ال جميل ولم يستطع والي بغداد انذاك علي رضا باشا اللاز القضاء على الثورة الا بعد قصف مراكزها بالمدفعية والتنكيل بالثواروحرق دورهم، ولم تكن الثورة تنتهي حتى نشبت ثورة اخرى في الجانب الغربي من بغداد، ولكن علي رضا نجح في القضاء عليها بعد استعمال مدفعيته مرة اخرى ونشبت في البصرة ايضاً ثورة تحت قيادة بعض بقايا المماليك الذين انتقلوا اليها بعد سقوط حكمهم في بغداد، وحاول زعيم الثورة "عزيز اغا" متسلم البصرة عهد داوود ازاحة علي رضا باشا عن حكم بغداد، الا ان ظروفاً عامة حالت دون نجاح محاولته وتعكس الاشاعات التي انتشرت بين الناس في تلك الاونة مدى ضعف السلطات العثمانية وحراجة موقف علي رضا، فقد اشيع انه اعتصم بقلعة بغداد و انه فر من المدينة ولقى مصرعه وان اهل بغداد انزلوا الوالي الذي نصبته الدولة العثمانية عليهم وعينوا مكانه والياُ من بينهم، ولم تكن الاوضاع في الموصل بأحسن منها في غيرها من مدن العراق بالنسبة للموقف العثماني فبعد ان كانت الدولة العثمانية قد عزلت يحيى باشا الجليلي، اخر ولاة الجليليين عن حكم الموصل عام 1828م تمكن هذا بمساعدة من بعض القبائل العربية وبتأييد من سكان المدينة ان يعود حكمها عام 1832م ولكن ليس باسم الدولة العثمانية و انما باسم محمد علي نفسه ، وكان في الموصل على ماذكر الوكيل السياسي البريطاني في بغداد الكولونيل تايلر حزب قد اخذ جانب مصر، وحاول حتى بعد انتهاء حكم يحيى الجليل الانضمام الى دولة محمد علي في مصر والشام فأعلن ثورته على علي رضا باشا عام 1839 م الذي لم يتمكن من قمعها الا بعد ان قتل اثنين وسبعين شخصاً من قادتها ونفى سبعة من العلماء الى البصرة كانت قد ثبتت مراسلتهم للقيادة المصرية في الشام.